مقياس: النظام التربوي الجزائري –السداسي السادس–

سنة ثالثة علم النفس التربوي

المحاضرة الرابعة: (ضمن محور المقاربات البيداغوجية).

نواصل حديثنا في هذه المحاضرة حول موضوع المقاربة بالكفاءات باعتبارها المقاربة التي أسست عليها مناهج التعليم (الخاصة بالجيل الثاني) بمراحله المختلفة في المنظومة التربوية الجزائرية، وباعتبار موضوع المناهج التعليمية بالجزائر هو أحد المحاور المشكلة لهذا المقياس.

عناصر هذه المحاضرة والمتممة للمحاضرة السابقة ستشمل مايلي:
أولا- أنواع الكفاءات: ونخص بالتفصيل تلك المعتمدة في مناهج التعليم الحالية (الجيل الثاني)، مع أمثلة.
ثانيا- الأسس النظرية للمقاربة بالكفاءات: المرجعية النظرية ومختلف البيداغوجيات التي تخدم هذه المقاربة.
ثالثا- أهمية المقاربة بالكفاءات.

2-3-5 أنواع الكفاءات: يختلف تصنيف الكفاءات باختلاف الأنظمة التربوية، غير أن أهم معيارين تصنف خلالهما الكفاءات في أغلب المنظومات التربوية هما معياري الاتقان والمادة التعليمية.

1حسب معيار الاتقان: تصنف الكفاءات وفق هذا المعيار إلى:

أ-كفاءات قاعدية أو أساسية: وهي الكفاءات الضرورية التي يتوقف عليها مواصلة التعلم في المراحل اللاحقة (تعد بمثابة الأسس الضرورية التي لابد من اعتبارها في بناء تعلمات لاحقة والتي لا يحدث التعلم في غيابها)، وترتبط بالوحدات التعليمية لإحدى المجالات المكونة للمادة الدراسية الواحدة، وتكون خاصة بكل نشاط تعلمي، مستمدة من الوحدة في المادة الواحدة.

ومن أمثلتها: معرفة القراءة، معرفة الأرقام...

ب- كفاءات التميز والإتقان: وهي الكفاءات التي لا يحول عدم امتلاكها من قبل التلميذ من مواصلة التعلم رغم فائدتها الكبرى.

3-5-2 حسب معيار المادة الدراسية: يمكننا التمييز من خلال هذا المعيار بين نوعين من الكفاءات هما:

أ- الكفاءات النوعية: وهي الكفاءات المرتبطة بمادة دراسية معينة، أو مجال نوعي أو مهني معين، وهي أقل شمولية من النوع الثاني(الكفاءات العرضية، وقد تكون سبيلا إلى تحقيقها). إذيعرفها محمد الدريج بأنها الكفاءات المرتبطة بمجال معرفي أو مهاري أو وجداني محدد، وهي خاصة لأنها ترتبط بنوع محدد من المهام (مثلا كفاءات خاصة بمادة التاريخ، كفاءات خاصة بمادة الجغرافيا، اللغة العربية...).

مثال: الكفاءات النوعية في مجال اللغة:

كفاءة الكتابة، كفاءة القراءة، كفاءة التحاور، كفاءة القدرة على الإنصات...

الكفاءات النوعية في مجال الجغرافيا: معرفة أهم التضاريس، معرفة المنتجات الفلاحية للوطن، القدرة على استخدام البوصلة في تحديد الاتجاهات...

بَ- الكفاءات المستعرضة :تسمى أيضا بالكفاءات الممتدة، ويقصد بها الكفاءات العامة التي لا ترتبط بمجال محدد أو مادة دراسية معينة، وإنما يمتد توظيفها إلى مجالات عدة أو مواد مختلفة، ولهذا السبب فإن هذا النوع من الكفاءات يتسم بالغنى في مكوناته، إذ تسهم في إحداثه تدخلات متعددة من المواد ويتطلب تحصيله زمنا أطول، فمثلا كفاءة امتلاك آليات التفكير العلمي هي كفاءة مستعرضة لأنها مرتبطة بأكثر من تخصص، ذلك أن التفكير العلمي ليس مقتصرا على النشاط العلمي، بل يدخل ضمن كل التخصصات، كما أن التمكن من مركبات هذه الكفاءة يتطلب وقتا، وذلك لتعدد هذه المركبات وتنوعها، كذلك فإن

امتلاك منهجية حل وضعيات-مشاكل- وتنمية القدرات التواصلية، هي اتجاهات وخطوات عقلية ومنهجية إجرائية مشتركة بين مختلف المواد الدراسية.

**أنواع الكفاءات الواردة في مناهج التعليم للجيل الثاني:

-كفاءات المادة: كفاءات المادة هي الكفاءات التي يكتسبها المتعلم من مادة أومن مواد دراسية وتهدف إلى التحكم في المعارف وتمكنه من الموارد الضرورية لحل وضعيات مشكلة.(مثل الكفاءات النوعية المشار إليها أعلاه).

-الكفاءة الختامية: كفاءة مرتبطة بميدان من الميادين المهيكلة للمادة وتعبر بصيغة التصرف (التحكم في الموارد وحسن استعمالها وإدماجها وتحويلها)، وهي أيضا كفاءة تكتسب من خلال المادة وتتحقق من خلال المسعى التدريجي للعملية التعليمية الذي يربط مقاصد الغايات بالممارسة في القسم، والتعبير عن جزء من ملامح التخرج من المرحلة والطور، لكنها تتسم في صياغتها بالعموم والاندماج، الأمر الذي لا يمكنها من بناء وحدات أو مقاطع تعلمية، فهي تربط المعنى المتواصل في الملامح لكنها تبقى ناقصة في الجانب العملي على مستوى الممارسة في القسم. ينبغي أن تصاغ الكفاءة الختامية ومركباتها بشكل يجعلها قابلة للتقييم، وللأسباب المذكورة آنفا، تجزأ الكفاءة الختامية إلى مركبات (مركبات الكفاءة الختامية، وذلك قصد إبراز أهداف التعلم القابلة للتحقيق)، والتي يمكن أن ترتبط بها الأمور الاتية:

-مضامين (محتويات) المادة المتعلقة بها كموارد في خدمة الكفاءة.

-الوضعيات التي تمكننا من تحقيقها كوحدات تعلمية.

- الوضعيات التي تمكننا من تقييمها كمركبات، ومن إدماجها كليا أو جزئيا من خلال وضعية مشكلة إدماجية.

-الكفاءة الشاملة: وهي الهدف الذي نسعى إلى تحقيقه في نهاية فترة دراسية محددة وفق نظام المسار الدراسي، لذا نجد كفاءة شاملة في نهاية المرحلة، وكفاءة شاملة في نهاية كل طور، وكفاءة شاملة في نهاية كل سنة، وهي تتجزأ في تكامل وانسجام إلى كفاءة شاملة لكل مادة.

-الكفاءات العرضية: تتكون من القيم والمساعي الفكرية والمنهجية المشتركة بين مختلف المواد التي ينبغي اكتسابها واستخدامها أثناء بناء مختلف المعارف والمهارات والقيم التي نسعى إلى تنميتها، وكلما كان توظيف الكفاءات العرضية وتحويلها إلى مختلف المواد أكثر، كان نموها أكبر، كما أن الربط بين كفاءات المادة والكفاءات العرضية يساهم في فك عزلة المادة وفي تدعيم نشاطات الإدماج.

وفي مناهج الجيل الثاني نلحظ أن هذا النوع من الكفاءات تندرج ضمنه الأشكال التالية:

-أ **كفاءات ذات طابع معرفي/فكري** : مجموعة من الكفاءات المرتبطة بمختلف المعارف التي يمكن تجنيدها كموارد في تنمية كفاءات، وهي أيضا "كفاءات مرتبطة بالقدرات الفكرية ، وترتبط بها القدرة على فهم الظواهر والوضعيات وتنمية الحس النقدي والقدرة على التحليل والتركيب والاستعداد لحل المشاكل.

ب – كفاءات ذات طابع منهجي : تتكون من قدرات ومعارف إجرائية، تهدف إلى تجنيد القدرات لتطبيق الإجراءات في حل وضعية مشكلة و تكييف و إعداد إجراءات أخرى قصد حل وضعيات مشكلة جديدة.

ج – كفاءات ذات طابع تواصلي: تعني كل ميادين التواصل، التعبير، والتبادل الشفهي وغير الشفهي...

د – كفاءات ذات طابع شخصي/اجتماعي: مجموع الكفاءات الاجتماعية التي في إمكانها أن تجنّد الموارد الشخصية والاجتماعية حول تحقيق مشروع ما، كما أنه يمكن وسمها بأنها كفاءات مرتبطة بالتنشئة ، وتترجم بتطبيقها في الحياة اليومية ، وتتجسد تربويا وثقافيا بتنمية الحس النقدي والجمالي.

2-3-6 الأسس النظرية والأطر البيداغوجية للمقاربة بالكفاءات:

تشكّل المقاربة بالكفاءات المحور الرئيسي في بناء مناهج التعليم في المنظومة التربوية الجزائرية، لذلك فإن تحديد مرجعيتها النظرية والبيداغوجية، يساهم في فهم منطلقاتها ومبادئها ومن ثمة استراتيجيات وطرق تطبيقها. حيث نقصد بالأسس النظرية، مختلف النظريات العلمية والحقول المعرفية والمرجعيات الفلسفية التي تستند إليها المقاربة، وبما أننا حددنا مفهوم المقاربة بالكفاءات على أنها تصور بيداغوجي يهدف إلى الكشف عن القدرات الكامنة للمتعلم وعلى تنميتها وتوظيفها في وضعيات مشكلة مختارة من الواقع، علينا أن نحدد أيضا مختلف الاستراتيجيات أو الأطر البيداغوجية التي تخدم هذه المقاربة وتسمح بتطبيقها، والتي يتبناها المعلم أثناء تخطيطه وتنفيذه وتقييمه للتعلمات المختلفة.

أولا: الأسس النظرية: سيقتصر حديثنا عن الأسس النظرية السيكولوجية، أي النظريات والحقول المعرفية المرتبطة بعلم النفس، وتتمثل في مايلي:

-علم النفس الفارقي: تستند المقاربة بالكفاءات إلى نتاج علم النفس الفارقي التي مؤداها أن الأفراد لا يتشابهون أبدا، حتى ولو توفروا بيولوجيا على الرصيد الوراثي نفسه، كما هو الحال بالنسبة للتوائم المتطابقة، فهناك دائما فوارق بينهم. إن مجرد حدث وحيد عابر قد يغير مجرى حياة الفرد، فما بالنا إذا علمنا أن الافراد يمرون بخبرات وتجارب لاحصر لها، فلابد أن يكون لها أثر على شخصياتهم، تبعا لهذا فإن لكل متعلم خبرته واستراتيجيته الخاصة بالتعلم، وهذا كان سببا ضروريا في وجود اتجاه بيداغوجي يقوم على تفريد التعلمات، تبعا لحاجات واستراتيجيات كل فرد.

-النظرية البنائية: من أبرز روادها جون بياجيه، تقوم هذه النظرية على مبدأ التعلم النشط، حيث أن بناء المعارف يتم استنادا إلى المعارف السابقة، المتعلم فيها هو محور العملية التعلمية التعليمية، يبني معارفه اعتمادا على ذاته، فهو يلاحظ، ينتقي، يصيغ فرضياته، يحلل ويتخذ قراراته، يستنتج ويدمج تعلماته الجديدة في بنيته المعرفية الداخلية، حيث أن سيرورة تعلماته تمر بصراع بين المكتسبات السابقة والتعلمات اللاحقة.

-النظرية المعرفية: تنظر هذه النظرية إلى التعلم من زاوية السياقات المعرفية الداخلية للمتعلم، وتعطي أهمية خاصة لمصادر المعرفة واستراتيجيات التعلم (معالجة المعلومة، الفهم، التخزين، توظيف المعارف...)، فوعي المتعلم بما يكتسبه من معرفة وبطريقة اكتسابه يزيد من نشاطه لتطوير جودة التعلمات، من أبرز روادها، برونر، أوزبل، تولمان...

-نظرية الذكاءات المتعددة: توصلت الأبحاث الحديثة إلى أن الأفراد يتوفرون على ذكاءات عديدة ومتنوعة، إذ يشير هاوارد جاردنر وهو صاحب النظرية إلى تسعة أنواع هي: الذكاء اللغوي، المنطقي والرياضي، الموسيقي، الجسدي، الذاتي، الوجداني، البيئي، البصري، والذكاء الاجتماعي، وهذه الذكاءات لم تكشف عنها فقط الاختبارات التي تقيس تجلياتها في الإنجازات، بل أكثر من لك أثبتتها الدراسات العصبية والبيولوجية والتشريحية للدماغ. مما يعني أن بعض الأفراد يتوفرون على هذه الأنواع بنسب متفاوتة أي أن لديهم استعدادات في ذكاءات دون أخرى، لذا ينبغي احترام هذه الاستعدادات بتنويع طرق التعلم.

-النظرية السوسيو-بنائية: تعتبر السوسيو-بنائية منظور مخالف للمقاربة الامبريقية المعتمدة من طرف المقاربة بواسطة الأهداف، فلم تعد المرجعية مقتصرة على مضامين البرامج الدراسية، كمعطيات موجودة في استقلال عن المتعلم، بل أصبحت معارف هذا الأخير هي موضوع الاهتمام في المقام الأول، وفي هذا الإطار تم تحديد ثلاثة أبعاد لهذا المنظور: بنائي- اجتماعي –تفاعلي:

بالنسبة للبعد البنائي، يتلخص في كون الذات تبني معارفها من خلال نشاطها الخاص وفي كون الموضوع المستخدم في هذا النشاط هو المعرفة الخاصة بنفسها، ومن هنا تكون نتيجة هذا المبدأ هي أن قيام المتعلم بنشاط فكري يتم فيه تكييف معارفه مع متطلبات الوضعية التي يواجهها.

البعد الاجتماعي: حسب هذه النظرية يعد مكونا أساسيا في التعلم، حيث لا يمكن الحديث عن بناء وتكييف المعارف دون تبادل مع الآخرين، من هنا كان لابد من خلق فضاءات تحاورية لتفعيل هذه العلاقة بين المتعلمين والمدرسين والمعارف.

-هنا يبرز البعد الثالث وهو التفاعل مع المحيط، ذلك أن التعلمات لا يمكنها أن تحصل إلا داخل وضعيات يتم فيها تكييف المعارف السابقة مع الجديدة، وهذا يعني أن الوضعية هي مصدر ومعيار اكتساب المعارف، فمن خلالها يحدث التفاعل بين عناصر المثلث السالف الذكر (متعلم-مدرس-معرفة).

ثانيا: الأطر البيداغوجية: ذكرنا في المحاضرات السابقة بأن البيداغوجيا هي إطار نظري (نماذج، طرق، تقنيات،..)، تخدم المقاربات البيداغوجية، ومن أهم البيداغوجيات الحديثة التي تخدم المقاربة بالكفاءات نذكر: بيداغوجيا حل المشكلات،: بيداغوجيا الإدماج، البيداغوجيا الفارقية، بيداغوجيا المشروع، بيداغوجيا التعاقد، بيداغوجيا اللعب، بيداغوجيا الدعم، وبيداغوجيا الخطأ.

(الهدف من عرض الأطر ليس معرفة طريقة وخصائص كل نوع منها لأن ذلك موضوع يتعلق بمقاييس أخرى في علم النفس التربوي وإنما لتوضيح العلاقة بين المقاربة والبيداغوجيا).

2-3-7 أهمية المقاربة بالكفاءات: من خلال تعريفنا لهذه المقاربة وخصائصها وأسسها يمكن إبراز أهميتها في مايلي:

أ-وظيفيّة التعلمات: حيث تجعل التعلمات ذات معنى لدى التلميذ، ولا تبقيها مجردة، من خلال ربطها باهتمامات المتعلم وحاجاته بشكل عملي ووظيفي.

ب- فعالية التعلمات: أن المقاربة بالكفاءات تعمل على ترسيخ التعلمات وتثبيتها، من خلال اعتمادها على استراتيجية حل المشكلات التي تساهم ترسيخ التعلمات وتنميتها، هذا من جهة ومن جهة أخرى تعمل هذه المقاربة على الاهتمام بما هو جوهري، أي أنها تهتم بالتعلمات الفعالة، كما تعمل على جعل العلاقات قوية مع تعلمات أخرى.

ج- بناء وتأسيس التعلمات اللاحقة: وذلك من خلال الربط بين مختلف التعلمات التي يكتسبها التلميذ من جهة وفي توظيف هذه المكتسبات ضمن وضعيات تعلمية ذات معنى، تتجاوز الحيز المخصص لمستوى دراسي معين من جهة أخرى، وبهذا المعنى فإن الربط التدريجي بين التعلمات تمكن من بناء نسق تعلمي أكثر شمولية توظف فيه المكتسبات والتعلمات من سنة لأخرى، بقصد بناء كفايات أكثر تعقيدا.

د- القابلية للتقويم، وهو على عكس القدرة إذ يمكن قياس أثر التعلمات من خلال جودة الإنجاز ومدته.

هـ-اعتماد الوضعيات التعلمية: تعتمد المقاربة بالكفاءات على وضعيات تعلمية تبنى حول المضامين الدراسية تكون منطلقا لبناء الكفاءات، فإن تعلق الأمر بمحتوى مادة دراسية واحدة كانت الكفاية نوعية، وإذا تعلق الأمر بمواد عدة تعلق الأمر بكفايات مستعرضة.